مقدمة :

تتميز الرواية كجنس أدبي عموما بقدرتها على استيعاب أشكال تعبيرية و لغوية متنوعة كالاشتغال على المتخيل و الرمزي بالإضافة الى استلهام ما هو واقعي ؛ الأمر الذي جعل منها تنفتح على أجناس متعددة فهي بذلك في تطور دائم ومستمر ولعل هذه المميزات وغيرها هي التي حرَّكت الأبحاث والدراسات وأنواع المقاربات انطلاقا من مناهج مختلفة بهدف الكشف عن مكوناتها و الإجابة عن الاسئلة المتعددة التي تطرحها ؛ والواقع أن الإقبال على دراسة الرواية على اختلاف مصادرها وأشكالها كان نتيجة قناعة الباحثين بأهميتها في الفكر الانساني والمسألة في ذلك لاتجانب الصواب من منطلق الفهم الفعلي بأن الرواية صارت الأقدر على امتلاك آليات التعبيرعلى مشاغل العصر.

ويجب الاشارة إلى أن هذا الاهتمام الكبير الذي حظيت به الرواية تعداها –من طرف بعض الباحثين- ليشمل البحث والرغبة في الكشف عن العلاقات الممكنة والمختلفة التي تربط الرواية مع عناصر أخرى تؤطرها ؛ وهذه العناصر تجد مشروعيتها في كون الإنتاج الأدبي عموما ومنذ اختراع الكتاب لا يقدم في شكل خالي ولكنه يعزز ويحاط بتلك العناصر مما يفضي إلى التباس يطرح إشكالات من أبرزها صعوبة تحديد العلاقات بين النص وهذه الشبكة المعقدة من العناصر المختلفة التي تنطوي تحت ما يسمى بالعتبات النصية .

مما يدفعنا الاعتقاد بأن طبيعة هذه الصعوبة يمكن تأطيرها بواسطة حدود التساؤلات الآتية التي تمثل الأساس ثم تتفرع عنها العديد من التساؤلات والتي تظهر مع امتداد صفحات هذا البحث :

-كيف تم الوعي بهذه العتبات النصية ؟ وما مفهومها ؟ ووظائفها ؟

-ما هو حظ العتبات النصية من الاهتمام في الدراسات الغربية وحتى العربية ؟

-ما هي نوعية الحوار وحدود العلائق التي تقيمها العتبات النصية مع الأثر الأدبي عموما والرواية بصفة خاصة ؟ وما أهميتها هل هي على درجة واحدة من الأهمية أم أنها تختلف من عنصر إلى آخر ؟

-ما مدى تطابق نوايا الكاتب وآراؤه المعلن عنها في العتبات النصية مع ما سيأتي في النص ؟ وإلى مدى يمكن أن تؤثر في فهمنا له ؟ ثم هل هي ضرورية ؟ أم يمكن الاستغناء عنها ؟

-من يوجه هذه العتبات النصية ؟ أهو الكاتب أم الناشر ؟ أم هما معا ؟ ومن المتلقي لها ؟

-إذا كانت هذه العتبات النصية تساعد على التلقي وهي تشكل خطابا حول النص الروائي ؛ كيف يتم تحديد وظيفتها التداولية ؟ خاصة وأنها لا تصير خطابا إلا إذا دخلت في حالة التواصل شأنها في ذلك شأن باقي النصوص الأخرى .

-إذا كان هذا البحث يقدم تحديدا لكل عنصر من عناصر العتبات النصية ؛ كيف يمكن تحديد مكان تواجد هذه العتبات النصية في الفضاء النصي ؟وهل يمكن ضبطها ؟

-ماهي وظائف العتبات النصية لكل عنصر ؟ وما هي الحدود الفاصلة بين كل عنصر ؟ وهل يمكن ضبطها ؟ خاصة وأن التأرجح وعدم الاستقرار على وظيفة ثابتة هي السمة اللازمة لهذه العتبات سواءً أكانت عنوانا أو إهداءً أو تصديرا أو فاتحة ...أو غيرها .

-ما هي طرق اشتغال العتبات النصية في الرواية المغربية المعاصرة تحديدا ؟

-هل كانت العتبات النصية في الرواية المغربية حاملا إيديولوجيا ومعرفيا ؟ أم أنها مجرد إشارات عُينت على المدونات ؟

ومن خلال هذه التساؤلات المختلفة و المتداخلة يحاول هذا البحث أن يتعرض لها متقصيا تشعباتها وامتداداتها عبر مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة بالإضافة إلى الملاحق .

أما المقدمة فهي العتبة المفضية بنا إلى هذا البحث

الفصل الأول : وينحو هذا الفصل منحى نظرياً تطرقنا فيه إلى تحديد مفهوم الشعرية والمفاهيم المنبثقة عنها بما في ذلك العتبات النصية ومناقشة إشكاليتها في الدراسات الغربية والدراسات العربية التى استلهمته ؛ وذلك بالإضافة إلى تحديدها كمفهوم مخصوص وإبراز مكوناتها وطرق اشتغالها ووظائفها والتنظير لها جميعا بما تقدمه من محددات عامة تشخص الأسس النظرية للعتبات النصية .

أما الفصل الثاني : وكان هذا الفصل لابد منه لإضاءة للبحث عموما من خلال التعرض لأقسام العتبات النصية مع تركيز القول فيها على الرواية المغربية ؛ حيث تطرقنا إلى

عناصر النص المحيط ثم عناصر النص البعدي مع تحديد مفاهيمها ووظائفها وضبط وقت ظهورها والإشارة إلى عملياتها التواصلية والتداولية ؛ كما لم يفتنا في ذلك إبراز أهم التصورات الحديثة التي التي اعتنت بتحديد عناصر عتبات النص الروائي تحديدا ؛ مع التركيز في ذلك على كشف درجات الوعي والاهتمام بها في الثقافة الغربية الممثلة في الكتابات الرائدة في هذا المجال ثم في الثقافة العربية .

الفصل الثالث : وقد نحى هذا الفصل منحى تطبيقيا حيث تم الانتقال من مستوى رصد العتبات النصية وهي تتأسس داخل المؤسسة الأدبية إلى رصدها وهي تؤسس استراتيجياتها النصية ضمن المشروع الروائي المغربي ؛ وفي هذا السياق اشتمل هذا الفصل على ستة روايات ومقاربتها في شكل قراءات مصغرة استفردت كل واحدة من تلك القراءات بمتن روائي ؛ انطلقنا في معالجتها من فرضية اشتغال عتبة معينة عبر ممارسة كل التصورات النظرية والمنهجية الواردة في الفصلين السابقين وذلك بهدف بيان خصائصها الدلالية والإيحائية وإبراز وظائفها الجمالية والتداولية في علاقتها بالنص الروائي المختار.

وفي الخاتمة : وكانت الخاتمة محاولة تركيب عام تم استخلاص بعص ما توصل إليه البحث من نتائج ؛ كما سعينا إلى إثارة بعض الملاحظات التي من شأنها أن تفتح أفاقا لإضافات أخرى وعياً منا بمحدودية ما توصلنا إليه ونسبيية نتائجه ؛ ومع ذلك يمكن اعتبار النتائج التي توصلنا إليها في الخاتمة قد تكون منطلقات جديدة لدراسات أخرى تكون أكثر شمولية يمكن أن تثري موضوع العتبات النصية لاحقا ؛ مع العلم أن هذا البحث قد يكون من الأبحاث الأولى التي اهتمت بهذا الموضوع .

ثم ختمنا هذا البحث بالملاحق ؛ ملحق أول عمدنا أن نورد فيه مخلصات عن أهم ما جاء في الروايات المدروسة في هذا البحث من موضوعات ومضامين ليتسنى للقارئ أن يتابع جيدا بين العتبات والمتون الروائية التي ترتبط بها .

وملحق ثاني يحوي مسردا لأهم المصطلحات المتعلقة بهذا البحث وأوردنها بلغتها الأصلية وهي الفرنسية وما يقابلها من ترجمة بالعربية لنسعف القارئ في إرجاع المصطلحات إلى منابعها الأصلية .

وإذا كان الهدف من هذا البحث هو مقاربة العتبات والتي تطرح مشاكلها الخاصة بالقراءة بغية إبراز مكوناتها وطرق اشتغالها وأبعادها التداولية في النص الروائي المغربي ؛ فإن

ذلك يستدعي تأطير البحث بمجموعة من المراجع المهمة والمتخصصة في هذا المضمار؛ فكان أن اعتمدنا بوجه خاص على كتاب "seuils" ل Gérard Génette حيث اتخذنا من مقتراحاته في ذلك الكتاب إطار نظريا عاما وسعناه بما يتلائم وخصوصية الرواية المغربية؛ كما استفدنا منه في ضبط الجهاز النظري ؛ حيث ميزنا مع Gérard Génette بين نوعين من العتبات النصية وهما النص المحيط والنص البعدي يفصل بينهما تمييز فضاءي ويشتركان في الوقت نفسه بوظيفة مركزية تتمثل في تقديم الرواية وقراءتها في الصورة المناسبة .

وقد جاء اعتمادنا على الكتاب "seuils" ل Gérard Génette مشفوعا بالاعتماد على مجموعة من المرجع باللغة العربية والتي ساعدتنا في كشف ما غمض منه وما استعصى على فهمنا له ومن هذه المراجع:

- عتبات النص(بحث في التراث والخطاب النقدي المعاصر) ، ليوسف الإدريسي .
- عتبات الكتابة (مقاربة لميثاق الحكي الرحلي العربي) ، لعبد النبي ذاكر .
- عتبات النص (البنية والدلالة) ، لعبد الفتاح الحجمري .
- هوية العلامات (في العتبات وبناء التأويل) ، لشعيب حليفي.
- الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، لنبيل منصر .
- عتبات (جيرار جنيت من النص إلى المناص) ، لعبد الحق بلعابد .
- مدخل إلى عتبات النص (دراسات في مقدمات النقد العربي القديم) ، لبلال عبد الرازق .

كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع الخاصة بالرواية المغربية يمكن أن نذكر أهمها :

- استرتيجيات التجريب في الرواية المغربية المعاصرة ، لمحمد أمنصور .
- سؤال الحداثة في الرواية المغربية ، لعبد الرحيم العلام .
- دينامية النص الروائي ، لأحمد اليبوري .

إلى غيرها من المراجع التي استحضرها البحث مع امتداد صفحاته .

أما عن منهجية مقاربيتنا لمحفل العتبات في النص الروائي المغربي فقد انطلقنا من إحدى بديهيات البحث العلمي التي تفترض أن منهجية العمل الصائبة هي التي تحرص بالدرجة

الأولى على أن يتلاءم المنهج مع ما تمليه خطة البحث من حيث أهدافها ورؤاها وبالتالي فإن اختيار المناهج ضرورة تمليها مسوغات البحث.

من هذا المنطلق توسل اقتراحنا المنهجي في هذا البحث استلهام مناهج مختلفة كخلفيات للمقاربة مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية النص الروائي المغربي ؛ فاعتمدنا من الناحية النظرية على منهجين الأول وصفي من خلال التنظير للمفاهيم المختلفة المرتبطة بالعتبات في الرواية المغربية ؛ والمنهج الثاني تاريخي يظهر من خلال تتبع التطورات التي طرأت على العتبات النصية عبر الحقب التاريخية المتعاقبة .

وفي الجانب التطبيقي قمنا بتوظيف أدوات إجرائية تتلاءم مع النصوص الروائية المقترحة للمقاربة ؛ حيث قام البحث في هذا الفصل على التنويع في الاختيارات المنهجية مما جعل النهل من الروافد المنهجية الغربية يتراوح بين السميائية باعتبار أن بعض عتبات النصية هي قبل كل شيء تشكيل لغوي رمزي يندرج ضمن نظام سميولوجي دال ومن خلال اعتبار بعضها الآخر كالعلامات (مثل العنوان ...إلخ) ؛ كما أخذ هذا البحث من نظرية التلقي اهتمامها بالقارئ على اعتبار أن العتبات النصية هي وقبل كل شيء آلية من آليات التواصل المنتجة وانطلاقا من الأهمية التي توليها العتبات النصية لفاعلية القارئ ؛ وفي أحيان كثيرة لم نلجأ إلى أي منهج من خلال اتضاح الرؤية بتحويل ما جاء في الفصول النظرية إلى أدوات إجرائية .

وقد حرصنا في ذلك إلى عدم الخلط بين هذه المناهج كما تجنبنا مأزق تحويل النص إلى مجرد ذريعة أو مطية للبرهنة على نجاعة هذا المنهج أو ذاك ؛ من هنا كان تعدد المقاربات وتعدد منطلقاتها إيمانا بأن هذا البحث نهج نهجا تكامليا ؛ والمعنى أن هذا البحث سعى إلى تأسيس مقاربة لنصوص الروائية المختارة وذلك ما يعني تحليلها وفق قواعد ومفاهيم إجرائية في إطار التكامل المعرفي .

أما عن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع دوناً عن غيره من المواضيع فهذا يحتمل تفصيله إلي شقين : الأول خاص بالعتبات والثاني خاص بالرواية المغربية ؛ فأما اختيارنا للعتبات النصية كموضوع للبحث كان محكوما بالرغبة الشخصية لإبراز ما لها من أهمية فلطالما استوقفتنا تلك العتبات ونحن نتأمل هذا العنوان أو تلك الفاتحة ...وغيرها ولم تغب عن بالنا طبيعة استحضار وتوظيف الروائي لهذه العناصر وما لهذا التوظيف من دلالات وذلك ما

شكَّل عندنا الرغبة في الكشف عما تتميز به العتبات من خضوضية على مستوى الشكل والوظيفة وعلى مستوى ما تتطرحه من قضايا وما تثيره من تساؤلات حول الكتابة والجنس الروائي وذلك لضبط خصوصيتها ووظائفها وعلاقتها بالنص الروائي .

كما أن ندرة الأبحاث وغياب الاهتمام بهذا النوع من الدراسات والمتخصصة بتلك العناصر قد شكل حافزا آخر لاختيار ها الموضوع ؛ حيث قليلا ما نجد بعض المحاولات النادرة الموزعة على شكل دراسات جزئية ومقالات اهتمت بعنصر أو عنصرين على الأكثر .

وضمن المفردات التي تتكون منه تركيبة عنوان هذا البحث هو الرواية المغربية ؛ حيث يتعذر الصمت حول المغرب : لماذا الرواية المغربية بالذات دون غيرها ؟

يمكن أن نحصر الأسباب فيما يلي:

السبب الأول : أن هذا الاختيار إجراء يقتضيه حصر الموضوع وبالتالي حصر العينة المقترحة من الروايات في دائرة المغرب سياجا وفضاء للكتابة أمر يمليه الشرط المنهجي المتمثل في وجوب اندراج المدونة المدروسة في الأدب المغاربي .

أما السبب الثاني : هو أن موضوع العتبات يتميز بالتشعب كما أن أنواعه تتعدد وكذلك قضاياه ولحصر المجال تم الاقتصار على الرواية المغربية من خلال دراسة عينات منها كنماذج إيضاحية عما تتميز به هذه الأخيرة حيث حققت تطورا ملموسا وبارزا في الآونة الأخيرة وقد أخذنا منها رواية " **دليل الغنفوان** " لعبد القادر الشاوي ، و " **الضوء الهارب**" لمحمد برادة ، و" **أرصفة وجدارن**" لمحمد زفزاف ، و" **مغارات** " لمحمد عز الدين التازي ، و" **عين الفرس** " للميلودي شغموم ، و" **رحلة خارج الطريق السيار** " لحميد لحميداني .

وكان اختيارنا لهذه المتون الروائية موضوعا للتحليل تحكمه ضوابط تتعلق أولا بما يتميز كُتَّابها في الساحة الأدبية المغربية وحتى العربية ؛ وثانيا يتعلق بموقع هذه الروايات في تاريخ الكتابة الروائية المغربية من خلال ظهورها في فترات زمنية متقاربة نسبيا وتأتي كلها لتصب في مجرى أدبي وثقافي يحكمه الفضاء المغربي الموحد ؛ ولكن هذا لا ينفي وجود نماذج أخرى ؛ لأن الإشكال يتمثل أساسا في عدم توفر نصوص كثيرة بإمكانها أن تتيح مجالاً أوسع للاختيار ؛ إلا أن هذا لم يكن عائقا لأن النصوص السابقة شكلت في رأينا متنا تمثيليا و مقاربته قد تجيب على التساؤلات السابقة التي أثارها البحث .

أما فيما يخص اعتماد البحث على ستة روايات في التحليل فهو تنويع مقصود بدعوى إعطاء صورة متكاملة ولو نسبيا عن أنواع وعناصر العتبات ؛ ذلك أن الرواية الواحدة قد لاتتوفر على كل عناصر العتبات وهي تكون في ذلك تابعة لما أراده الكاتب من إعطاء العتبة دلالة مركزية أو اعتبارها هامشية ومن ثمة تغييبها .

إن الحرص على دراسة الرواية المغربية في بعض نماذجها من مكان العتبات والقائمة على بناء أسس علمية وفي ضوء إشكالية جديدة لم يكن متاحا دون صعوبات ذلك أن فاتحة الصعوبات تتمثل في رحلة البحث عن نماذج للتحليل حيث استغرق حصولنا على مجموعة الروايات وقتا طويلا ؛ ويمكن أن نشير إلى أهم الصعوبات العملية :

- المادة النظرية الأصلية والتطبيقية – على قلتها – كُتبت بغير العربية فقد كثر نقل النقاد العرب عن "seuils" ل Gérard Génette ولم تفلح الجهود العربية بالحصول على ترجمة عربية متقنة ومع عدم إتقاننا للغة الفرنسية كان لا مناص من الرجوع إلى الكتب والأبحاث المترجمة والتي كانت في غاليبتها – إلا ما ندر- إما ترجمة شديدة التعقيد و غيرمؤدية للمعنى وإما عبارة عن ملخصات واقتباسات مبتورة مما يؤدي بنا إلى عدم استيعاب الأطروحات النظرية والتطبيقية كما جاء بها أصحابها ؛ ومع ذلك وجدنا في هذه الترجمات قواسم مشتركة يمكن الاهتداء بها والاستفادة منها.
- لقد كان عامل الزمن بالإضافة إلى الكيفية الجديدة في تناول الموضوع حائلا دون الاطلاع المركز على التوجهات المستجدة ؛ وبالتالي حال دون توظيفها في سياق هذا البحث ؛ لذا اكتفينا بما تيسر الحصول عليه من المراجع على أقليته مع الاستئناس ببعض الكتابات دون غيرها والتي تعمق اتصالنا بها عمقا وفهما .

ورغم كل هذه الصعوبات يمكن القول أن هذا البحث سطَّر أهدافا وعمل على تحقيقها والتي ظلت الهاجس الأساس لمشروع هذا البحث ويمكن أن نشير إلى أهمها :

- التذكير بأهمية الوعي الأدبي والنقدي والجمالي للعتبات ومحاولة تجاوز الرؤية السلبية التي كانت تعتبر عتبات النص كما ولو كانت نصوصاً قاصرة ومحاولة تفعيل الدور الذي تقوم به العتبات في علاقتها بالرواية المغربية .

- محاولة ربط عناصر العتبات النصية بالمحيط السوسيوثقافي وفي علاقتها بالتلقي على وجه الخصوص .

ويمكن القول أن أهداف هذا البحث من شأنها أن تؤثر في درجة وطبيعة إدراك وفهم دلالتها وهذا يمكن الارتقاء بمستوى الوعي بأهمية العتبات إبداعا وتلقيا ومن خلال إضفاءها معنى جديدا على الرواية المغربية .

وما يمكن قوله في الأخير هل استطاع هذا البحث المتواضع أن يحقق بعضا من طموحه هذا ما لا نملك أن ندعيه فما أكثر الثغرات والمزالق التي قد فاتنا التنبه إليها أو انتبهنا لها دون أن تسعفنا عدتنا أن نتغلب عليها ؛ فعسانا أن نجد في كلام القدماء بعض العزاء وقد قالوا " كفى بالمرء نبلا أن تعد معايبه" ؛ لكن يبقى الأمل قائما في أن يشكل هذا البحث قيمة مضافة إلى ما هو موجود .